تفسير إبن كثير

إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا ۗ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ

وقوله : (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) : قال محمد بن إسحاق ، عن يزيد بن عبد االله بن قسيط ، عن أبي الحسن سالم البراد - مولى تميم الداري - قال : لما نزلت : (والشعراء يتبعهم الغاوون) ، جاء حسان بن ثابت ، وعبد االله بن رواحة ، وكعب بن مالك إلى رسول االله - صلى االله عليه وسلم - وهم يبكون فقالوا : قد علم االله حين أنزل هذه الآية أنا شعراء . فتلا النبي - صلى االله عليه وسلم - : (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) قال : " أنتم " ، (وذكروا االله كثيرا) قال : " أنتم " ، (وانتصروا من بعد ما ظلموا) قال : " أنتم " .رواه ابن أبي حاتم . وابن جرير ، من رواية ابن إسحاق .وقد روى ابن أبي حاتم أيضا ، عن أبي سعيد الأشج ، عن أبي أسامة ، عن الوليد بن كثير ، عن يزيد بن عبد االله ، عن أبي الحسن مولى بني نوفل ; أن حسان بن ثابت ، وعبد االله بن رواحة أتيا رسول االله - صلى االله عليه وسلم - حين نزلت : (والشعراء يتبعهم الغاوون)

يبكيان ، فقال رسول االله - صلى االله عليه وسلم - وهو يقرؤها عليهما : (والشعراء يتبعهم الغاوون) حتى بلغ : (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) ، قال : " أنتم " .وقال أيضا : حدثنا أبي ، حدثنا أبو سلمة حدثنا حماد بن سلمة ، عن هشام بن عروة ، عن عروة قال : لما نزلت : (والشعراء يتبعهم الغاوون) إلى قوله : (يقولون ما لا يفعلون) قال عبد االله بن رواحة : يا رسول االله ، قد علم االله أني منهم . فأنزل االله : (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) إلى قوله : (ينقلبون) .وهكذا قال ابن عباس ، وعكرمة ، ومجاهد ، وقتادة ، وزيد بن أسلم ، وغير واحد أن هذا استثناء مما تقدم . ولا شك أنه استثناء ، ولكن هذه السورة مكية ، فكيف يكون سبب نزول هذه الآية [في] شعراء الأنصار ؟ في ذلك نظر ، ولم يتقدم إلا مرسلات لا يعتمد عليها ، واالله أعلم ، ولكن هذا الاستثناء يدخل فيه شعراء الأنصار وغيرهم ، حتى يدخل فيه من كان متلبسا من شعراء الجاهلية بذم الإسلام وأهله ، ثم تاب وأناب ، ورجع وأقلع ، وعمل صالحا ، وذكر االله كثيرا في مقابلة ما تقدم من الكلام السيئ ، فإن الحسنات يذهبن السيئات ، وامتدح الإسلام وأهله في مقابلة ما كذب بذمه ، كما قال عبد االله بن الزبعرى حين أسلم :يا رسول المليك ، إن لساني

راتق ما فتقت إذ أنا بورإذ أجاري الشيطان في سنن الغي ي ومن مال ميله مثبورو كذلك أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، كان من أشد الناس عداوة للنبي - صلى االله عليه وسلم - وهو ابن عمه ، وأكثرهم له هجوا ، فلما أسلم لم يكن أحد أحب إليه من رسول االله - صلى االله عليه وسلم - وكان يمدح رسول االله - صلى االله عليه وسلم - بعدما كان يهجوه ، ويتولاه بعدما كان قد عاداه . وهكذا روى مسلم في صحيحه ، عن ابن عباس : أن أبا سفيان صخر بن حرب لما أسلم قال : يا رسول االله ، ثلاث أعطنيهن قال : " نعم " . قال : معاوية تجعله كاتبا بين يديك . قال : " نعم " . قال : وتؤمرني حتى أقاتل الكفار ، كما كنت أقاتل المسلمين . قال : " نعم " . وذكر الثلاثة .ولهذا قال تعالى : (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا االله كثيرا) قيل : معناه : ذكروا االله كثيرا في كلامهم . وقيل : في شعرهم ، وكلاهما صحيح مكفر لما سبق .وقوله : (وانتصروا من بعد ما ظلموا) قال ابن عباس : يردون على الكفار الذين كانوا يهجون به المؤمنين . وكذا قال مجاهد ، وقتادة ، وغير واحد . وهذا كما ثبت في الصحيح : أن رسول االله - صلى االله عليه وسلم - قال لحسان : " اهجهم - أو قال : هاجهم - وجبريل معك " .وقال الإمام

أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر ، عن الزهري ، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك ، عن أبيه أنه قال للنبي - صلى االله عليه وسلم - : إن االله ، عز وجل ، قد أنزل في الشعر ما أنزل ، فقال : " إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه ، والذي نفسي بيده ، لكأن ما ترمونهم به نضح النبل " .وقوله : (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون) ، كما قال تعالى : (يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار) [غافر : 52] وفي الصحيح : أن رسول االله - صلى االله عليه وسلم - قال : " إياكم والظلم ، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة " .وقال قتادة بن دعامة في قوله : (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون) يعني : من الشعراء وغيرهم .وقال أبو داود الطيالسي : حدثنا إياس بن أبي تميمة ، قال : حضرت الحسن ومر عليه بجنازة نصراني ، فقال الحسن : (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون) .وقال عبد االله بن رباح ، عن صفوان بن محرز : أنه كان إذا قرأ هذه الآية - بكى حتى أقول : قد اندق قضيب زوره - (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون) .وقال ابن وهب : أخبرني ابن سريج الإسكندراني ، عن بعض المشيخة : أنهم كانوا بأرض الروم ، فبينما هم ليلة على نار يشتوون عليها - أو : يصطلون - إذا بركاب قد أقبلوا ، فقاموا

إليهم ، فإذا فضالة بن عبيد فيهم ، فأنزلوه فجلس معهم - قال : وصاحب لنا قائم يصلي - قال حتى مر بهذه الآية : (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون) قال فضالة بن عبيد : هؤلاء الذين يخربون البيت .وقيل : المراد بهم أهل مكة . وقيل : الذين ظلموا من المشركين . والصحيح أن هذه الآية عامة في كل ظالم ، كما قال ابن أبي حاتم : ذكر عن زكريا بن يحيى الواسطي : حدثني الهيثم بن محفوظ أبو سعد النهدي ، حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن المجير حدثنا هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة ، رضي الله عنها ، قالت : كتب أبي وصيته سطرين : بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أوصى به أبو بكر بن أبي قحافة ، عند خروجه من الدنيا ، حين يؤمن الكافر ، وينتهي الفاجر ، ويصدق الكاذب : إني استخلفت عليكم عمر بن الخطاب ، فإن يعدل فذاك ظني به ، ورجائي فيه ، وإن يجر ويبدل فلا أعلم الغيب ، (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون) .آخر تفسير سورة " الشعراء " والحمد الله رب العالمين .